



سلسلة: علماء الإسلام وملحمتهم التقويمية عبر التاريخ
مقدمات نحو صياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم
صناعة الفقه (11): المجتمع والأنموذج الحدائبي الغربي، تقييم نقدي

الحلقة الرابعة

النظرية الوظيفية الإجتماعية الحديثة (neofunctionalism)

من اللافت للنظر، أنه في الوقت الذي كانت تتعرض فيه **النظرية الوظيفية** ل



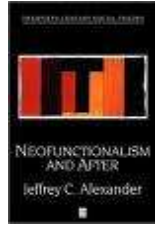
تالكوت بارسونز (Talcott Edger Parsons) (1902 - 1979) إلى النقد

الشديد من طرف بعض المنظرين الاجتماعيين، برز، وكما يحدث عادة في بعض العلوم الغربية التي شاخت وقاربت انتهاء زمنها الافتراضي أو تجاوزته، من يكرس جهده ووقته، بعد أن يكون قد بترها من مقولاتها الأكثر هشاشة أو الأكثر تعرضاً للنقد، للدفاع عنها،

وهي المهمة التي سيضطلع بها الاجتماعي الأمريكي المدرس بجامعة كاليفورنيا:



جيفري سي. ألكساندر (Jeffrey C. Alexander) ، صاحب كتاب: **"الوظيفية**



الجديدة وما بعد " (*Neofunctionalism and After*).¹ ، وذلك باللجوء إلى

الحيلة الإجرائية التقليدية المعمول بها في غرف الإنعاش النظري، من خلال لزق البادئة السحرية **"جديدة"** (Neo) بالنظرية، لتتقلب **الوظيفية القديمة لبارسونز** إلى وظيفية جديدة، تحمل الاسم المبتدل: **"النظرية الوظيفية الجديدة"** (*neofunctionalism*)².

¹ نشر (Basil Blackwell. 1998) وترجم إلى اللغة الصينية (Chinese translation: Yilin Press, 2003)

² ويقوم هذا الترميم للنظرية القديمة، على أساس الاحتفاظ بالعناصر التي أثبتت فائدتها في منهج **تالكوت بارسونز** التحليلي، بينما يُقْتَلُ من قيمة فكرة المتطلبات الوظيفية.

وسيشارك جيفري في هذا المهمة الإحيائية اجتماعيون آخرون، لعل أبرزهم أستاذ علم الاجتماع والإجرام بجامعة دانفير (UNIVERSITY OF DENVER) الأمريكية: "بول



كولومي" (Paul Colomy)³، حيث نشرنا معاً كتاب: "النظرية التفاضلية: مشاكل وأفاق" (Differentiation Theory : Problems and Prospects)⁴

قلت:



ويقوم التنظير الاجتماعي الوظيفي الجديد على تصوّر المجتمع كنظام من الأجزاء المترابطة، يمايز ويفاضل بين ما هو اجتماعي، وما هو ثقافي، وما هو نابع من النظام الشخصي.

ويتصور الثقافة كعالم متميز عن الواقع الاجتماعي، ويبحث في القوى المؤثرة

التي قد تؤدي إما إلى التكامل الوظيفي أو إلى تفكك النظم الاجتماعية.

وتعترف النظرية الوظيفية الجديدة بأن التفاضل الاجتماعي ميزة أساسية في

التغيير الاجتماعي.

قلت:



³ ونشر بمفرده كتاب: "الوظيفية الاجتماعية (مدارس الفكر في علم الاجتماع)" (Functionalism Sociology (Schools of Thought in Sociology) وكتاب: "الوظيفية الاجتماعية الجديدة: منظومات معاصرة" (Neofunctionalist Sociology) (Contemporary Statements), وكلاهما من منشورات: Elgar Publishing Limited, Edward Columbia University Press ⁴

وهو، ما كانت تقول به **النظرية الوظيفية التقليدية**⁵، التي تقرر بأن ما يميز المجتمع هو أن له **أجزاء**، يطلق عليها اسم **البنى الاجتماعية**، وأن هذه **البنى** مترابطة، وتشغل جميعها في وئام تام لإنتاج **الإجماع والاستقرار**، إلا أن **جيفري** سيقول من قيمة التحليل **البارسونزي** (نسبة إلى تالكوت بارسونز) القديم، الذي كان يحلل القوى الاجتماعية من خلال الوظائف التي تعمل على الإبقاء على النظام المجتمعي، ويسلم بأن للنظام **حاجات ومتطلبات**، ليخلص إلى القول بأن هذه **"الحاجات"** وهذه **"المتطلبات"** المفترضة للنظام، لا تسعفنا في توضيح العمليات الاجتماعية التي تشغل ضمن هذه الأنظمة بشكل كامل، لأنها في أحسن أحوالها، تؤسس فقط لحدود وتخوم هذه المتطلبات الوظيفية التي يعمل فيها الفعل الاجتماعي الإنساني وأنماط المنظمة الاجتماعية ولا يمكن تفسيرها من خلال التطورات الاجتماعية التي تشغل بداخل هذه النظم.

قلت:



ويمكن تصنيف **الوظيفية الجديدة** ل**جيفري أليكساندر** ضمن السياق النظري ال

ما بعد وضعاني (post positivist) في **علم الاجتماع**، مادامت النظرية الوظيفية

تعتبر نظرية خاضعة ل**منظورية نظرية (paradigm)**، تتضمن العديد من النظريات

الفرعية مثل:

⁵ لاحظ أن النظرية الوظيفية لها جذور ترجع بها إلى اليهودي الفرنسي دوركهايم (Durkheim) الذي ستنبأه مدرسة شيكاغو الاجتماعية والتي سيرز منها كل من تالكوت بارسونز وميرتون.

أ) **نظرية المنظور التراتبي** (order perspective)،

ب) **ونظرية الأنظمة** (systems theory)،

ت) **ونظرية الوظيفية البنوية** (structural functionalism)،

ث) **ونظرية الإجماع** (consensus theory)،

ج) **ونظرية الوظيفية الجديدة** (neo-functionalism).

وبسبب من تركيز **النظرية الوظيفية على الهيكل الاجتماعي العام**

والمؤسسات الكبرى الملحقة به، فقد فشلت النظرية فشلاً ذريعاً في تفسير التغير

الاجتماعي والسلوك على المستوى الفردي.

قلت:



ويُجادل **جيفري** بأن **العمل الاجتماعي** يُمكن أن يُفهم كنوع من الإسقاط أو

التنزيل المفهومي ذو امتداد طيفي مستمر يبدأ من **المجرد البالغ التجريد**، ثم **العام**، ثم

الميتافيزيقي، من جهة، ويمتد من جهة أخرى ليشمل: **الواضح**، **فالتجريبي**،

فالواقعي.

ويقول جيفري بأن **النشاط العلمي الاجتماعي**، الذي يعالج إشكالات **الأفكار**

والنماذج، و**الفرضيات**، و**المفاهيم**، و**القوانين**، و**القضايا**، و**البيانات**، يسقط بين

تينيك النهايتين، وبأن كل منطوق علمي اجتماعي يحوي التزامات ضمنية أو واضحة

حول طبيعة كل عنصر من هذه الاستمرارية المفهومية.

ويَزَعُمُ **جيفري أليكساندر** ، بالإضافة إلى ما سبق، بأنَّ الأشكالَ المُخْتَلِفَةَ

لِعِلْمِ الاجتماع تجسدها **التقاليد** أو **مدارس الفكر**.

وطبقاً لهذا **النموذج الما بعد وضعاني (post positivist)** لعِلْمِ الاجتماع،

فإنَّ الحافز الرئيس لتَقَدُّمِ **المعرفة الاجتماعية** يكمن في الصراع والتنافس بين هذه

التقاليد وهذه **المدارس الفكرية المختلفة**.

وعنده أن محك النظر لتَقْرير ما إذا كان أي منطوق علمي اجتماعي يعمل على

تَقَدُّمِ المعرفة الاجتماعية مقارنة مع منطوقات نظرية منافسة، هو أن يتم عرض المنطوق

المعني أو الصياغة النظرية له على المنطوقات الموازية للنظريات التقليدية ضمن تقليد

نظري معين.

قلت:



وليلاحظ القارئ أن **جيفري أليكساندر** يتكلم لغة الخشب هنا، حيث نجده بدل أن

يفسر لنا **التقَدُّم النظري** أو **التجريبي**، بحدِّ ذاتيهما، فإنه يلف على المشكل ليحدثنا عن

النجاح النسبي لمنطوق اجتماعي توضيحي أو نظري للعالم الاجتماعي ضمن تقليده

ومدرسته الخاصة به أو مع مدارس منافسة.

وهو ما يسم **وظيفيته الجديدة** كسالفها القديمة ب **الهشاشة العلمية** بامتياز،

مقارنة مع **العلوم الصلبة** {الفيزياء، الكيمياء، الجيولوجيا،...}، التي حاول



الوضعايون ومنذ أوغست كنت (Auguste Comte) (1798 - 1857).

محاكاة إجرائياتها بدون نجاح يذكر.

نظرية التبادل الاجتماعية (Social Exchange Theory)

لنظرية التبادل الاجتماعية جذور في علم النفس، خصوصاً في السلوكية،

بالإضافة إلى علم الاقتصاد، وتبني صرحها فوق العلاقات النفسية الفردية لتطوير

الإتصال بين المستوى الدقيق للفرد (micro level)، ومستوى المجموعة، ثم المستوى

المؤسساتي.

وهي نظرية سيقول بها كل من جورج غاسبار هومان (George Caspar)



، وبيتر ميكائيل بلاو (Peter Michael) (Homans) (1910 - 1989)⁶

⁶ له مقالة حملت عنوان: "السلوك الاجتماعي كتبادل" ونشره سنة 1958 في مجلة علم الاجتماع الأمريكية: (1958) 63:597-606. American Journal of Sociology "Social Behavior as Exchange" وكتاب: السلوك الاجتماعي: أشكاله البسيطة" ونشره سنة 1961، وأعد نشره منقحاً ومضافاً إليه سنة 1974.

George C. Homans, *Elementary Forms of Social Behavior*, (2nd Ed.), New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1974.



7. وهي نظرية على طرفي نقيض بالنسبة للنظريتين (Blau) (1918 - 1992)

الوظيفيتين القديمة والحديثة، حيث أن نظرية التبادل تقول بأولية المجتمع

وبسلوك الفرد بعقلانية إذا ما وجد نفسه في موقف معين.

وتبحث نظرية التبادل الاجتماعية في الطرق، وكذا في العوامل المؤثرة في

تبادل المنزلة الاجتماعية، والسمعة، والمكافآت الاجتماعية، وباقي السلع

الاجتماعية الأخرى.

قلت:



ف السلوك الاجتماعي في هذه النظرية الموغلة في المادية ما هو سوى تبادل

للسلع المادية وغير المادية (مثل رموز القبول الاجتماعي أو السمعة).

وتقول النظرية بأن:

(أ) الأشخاص الذين يعطون كثيراً للآخرين من هذا الرأسمال الرمزي

يُحاولون أن يحصلوا منهم على مقابل أكبر، بينما من هم في منزلة

الآخذين، يحاولون العكس.

⁷ نشر كتاباً سنة 1964 تحت عنوان: "التبادل والسلطة في الحياة الاجتماعية" Exchange and Power in Social Life, New York: Wiley, 1964. 352 p

(ب) وبأن هذه العملية من التأثير المتبادل تميل إلى نوع من **التوازن** في آخر المطاف.

وتسلم **نظرية التبادل** بكون الممثلين الاجتماعيين **عقلانيين** في تصرفاتهم، وبأنهم يواجهون (بالمعنى الاقتصادي للمنفعة) **منفعة متقلصة**، وأنهم يسعون إلى تحقيق ربح اجتماعي، وأنهم يراقبون التغيرات الاجتماعية. وتتلخص العقائد الأساسية ل**نظرية التبادل** في البنود التالية:

(1) الممثلون الاجتماعيون، الذين تسعفهم الظروف، يتصرفون عقلياً،
(2) يبلغ الممثلون حالة من **الإشباع لحاجياتهم** ويواجهون بالتالي منفعة متقلصة،

(3) يسعى الممثلون إلى الحصول على "**علاقات مربحة**" وهي العلاقات التي يحصل الممثل الاجتماعي فيها على قيمة أقل مما أعطى للحصول عليها.
(4) هناك تركيز على **تدفق التبادلات**،

قلت:



وقد طوّرت **نظرية التبادل** من نظرية أخرى يطلق عليها اسم: **نظرية الاختراق الاجتماعي** حين بدأ المنظرون يهتمون بفحص الحوافز والعمليات التي تنمو فيها العلاقات أو تتحلل.

وقد ظهرت أول بواكير التغيير في **نظرية التبادل** في مقالة كتبها الاجتماعي الأمريكي:

ألفين وارد غودنر (Alvin Ward Gouldner) (1920 - 1980) سنة 1960 حول "معيار

التبادل"، الذي يجادل فيها ببساطة بأنّ الناسِ يَجِبُ أَنْ يردّوا المنافع التي أعطيت لهم في أية علاقة.

وتندرج ضمن **نظرية التبادل** ذاتها **نظرية الإعضال الاجتماعي** التي تقول:

(أ) إذا ما تعاون كلّ الأعضاء، فإن الجميع يكسب شيئاً ما، لكن بعض الأعضاء قدّ يكسبون أكثر من غيرهم.

(ب) أثناء حصول إشكال أو معضلة اجتماعية، قدّ يكون من الأفيد لعضو معيّن ألا يتعاون،

(ج) من الأفيد للمجموعة، بالنسبة لعضو معيّن، ألا تتعاون معه (حال الشخص العنيف مثلاً).

قلت:



وقد وجه النقد إلى نظرية التبادل بكونها **تبالغ في عقلنة التبادل الإنساني**، وبأنها

مفتوحة بشكل خطير، وتركز كثيراً على الألفة، وتنظر إلى العلاقات نظرة خاطئة.

وأهم الانتقادات تتلخص في البنود التالية:

(أ) فهي تحول **التفاعل الإنساني** إلى مجرد عملية عقلانية كتلك التي تنشأ عن

النظرية الاقتصادية.

ب) هي **وليدة أفق عصرها السياسي**، حيث تركز على الانفتاح الذي كان تقليعة سبعينيات القرن العشرين، حيث كثر اللهج يومها بمزايا **الحرية والانفتاح** على الآخرين، مع أن هناك أوقاتاً ومناسبات يكون الانفتاح فيها ليس بالخيار الأمثل في علاقة ما.

ت) كونها تفترض بأن الهدف النهائي من علاقة ما هو **الألفة**، بينما قد لا تكون هذه الألفة مطلوبة دائماً.

ث) كونها تضع العلاقات في **تركيب خطي**، بينما بعض العلاقات قد تقفز فوق بعض الخطوات أو ترجع القهقري إلى الوراء من ناحية الألفة.

قلت:



وترتبط النظريات الثلاث من وجهة **نظر العقيدة المؤسسة** بالتيار

اليمني الأمريكي. وهو المشكل لبنيتها والمحدد لأفقتها وسقفها المعرفي كإيديولوجيا اجتماعية وليس كعلم اجتماع بأي معنى من المعاني!.

ويكفي التذكير هنا بأن كلا من **تالكوت بارسونز وجورج غاسبار هومان** مناهضان في المطلق للفكر الماركسي، حيث أن الأول تحاشاه أثناء نقله للفكر الأوروبي في درسه الاجتماعي بجامعة شيكاغو، وأن للثاني مؤلف حمل عنوان: **"مدخل إلى باريتو"**⁸ (An Introduction to Pareto, His Sociology)⁹



⁸ نسبة إلى فيلفريدو باريتو (1848 - 1923) وهو عالم اقتصادي واجتماعي شهير مناهض للفكر الماركسي وصاحب مبدأ باريتو المعروف بقاعدة 20-80 في علم الإدارة وهو أيضا صاحب النظريتين الإقتصاديتين أمثلية باريتو وأفضلية باريتو وله مدرج إحصائي عرف باسم مخطط باريتو وكذلك توزيع باريتو الإحصائي وهو صاحب المقولة الشهيرة التاريخ هو مقبرة من الطبقات الأرستقراطية. {أنظر باقي ترجمته في موسوعة ويكيبيديا}.

⁹ نشره مع كورتيس سنة 1934 (Homans & Curtis)



قلت:

وقد تفرخت بإزاء هذه النظريات الاجتماعية نظريات أخرى من شاكلة:

(1) **الداروينية الاجتماعية** في صيغتها: "**القديمة**" و "**المحدثة**"! (Neo-Darwinism)، على

تهافتها معاً من حيث **الشقشقة الشهرزادية المؤسسة** لهما التي لا دليل علمي

عليها، سوى الاعتقاد الميتافيزيقي فيها!¹⁰



قلت:

وكان منظر العلوم الألماني اليهودي **كارل بوبر** (Karl Raimund Popper) (1902 –



1994) قد بين الأسس الميتافيزيكية التي تقوم عليها **النظرية التطورية**، وبين

عدم كفايتها العلمية، لأنها ويا عجب العجاب! غير قابلة لا للتخطئة ولا للتصديق العميين،

وهي خاصة النظريات الميتافيزيكية وليس العلمية¹¹.

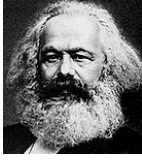
(2) "**السلوكية النفسية**"، في صيغتها "**القديمة**" و "**المحدثة**"، (Neo-Behaviorism)¹²،

¹⁰ وقد انتقد دعاواها العلمية كارل بوبر (Karl Popper) بقوله: إن النظرية الداروينية نظرية متافيزيكية لا يمكن اختبارها علمياً، وقد اعترف داروين نفسه بأن ظهور ذيل الطاووس وقرون الوعل ليست من نتائج الانتخاب الطبيعي وإنما لأن الأثنى تختار ذلك، وهو تفسير شقشقي!.

¹¹ أنظر كتابنا: "الأسس العلمية لدعاوى القرآن".

¹² وقد انتقد دعاواها العلمية كارل بوبر بقوله: لقد وجد النفساوي فرويد (Freud) ان لمرضاه ألاماً فرويدية¹، وأن لمرضى النفساوي أدلر (Adler) احلاماً أدلرية! وهذا في حد ذاته تكذيب صارخ للنظرية. ونجد لها ممثلاً آخر في جان بياجى (Piaget, J.) فيما يسمى بعلم النفس التربوي كما في كتابه: "بناء الواقع عند

(3) "الوضعية" في صيغتها: "القديمة" و"المحدثة" (Neo-Positivism) كذلك!،



(4) "الماركسية"¹³ عند كارل ماركس (Karl Marx) (1818 - 1883) ، في

شبابه أو بعد نضجه، والتي تعد نظرية نقدية وتحليلية للمراحل الأولى ل

"الرأسمالية"، أو في التيارات اللاحقة المحسوبة عليها كما عند أصحاب:

(5) "النظرية النقدية" أو "مدرسة فرانكفورت" (Critical Theory)¹⁴ كما عند: ثيودور



أدورنو (Adorno, T. W.) (1903 - 1919) المتخصص في النقد الأدبي

والموسيقى والتحليل النفسي! وعلم الاجتماع، وماكس هوركهايمر (Max Horkheimer)



(1895 - 1973) موجه الأبحاث لهذا الفريق، وهيرت ماركوس



(1898 - 1979) المتخصص في الفلسفة، ويورغن

الطفل" في: (La Construction du réel chez l'enfant, Neuchatel Delachaux et Niestlé, 1966) وهو تخريف شقشقتاني شهرزادي حكواتي صرف مطبوع بطابع التعامل والتعبر الذي لا طائل تحتها!.

¹³ وقد فند منطلقاتها النظرية التي كانت تدعي العلمية النمساوي كارل بوبر بقوله: {إن ماركس يقول: إن التغييرات الثورية تنطلق من القاعدة أي البروليتاريا، فتتغير أولاً وسائل الإنتاج، ثم العلاقات الاجتماعية بين العمال وغير العمال، ثم التنظيم السياسي واخيراً المعتقدات الإيديولوجية. وهذا كذبته الثورة الروسية حيث ظهرت الإيديولوجيا أولاً فإرضاء للسلطة السياسية وقد ابتدأت هذه الإيديولوجيا من فوق وليس من القاعدة كما تتوقع النظرية. بل ظل التساؤل لماذا حصلت الثورة الشيوعية من فوق في كل من روسيا والصين الزراعيتين ولم تحدث في اية دولة صناعية غربية؟! وهذه النظرية لها أيضاً شقشقتها الشهرزادية المؤسسة كسائر البوتوبيات.

¹⁴ الذين تجمعوا في معهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعية الذي تأسس سنة 1923 بصفته مركزاً للبحث الاشتراكي الذين يعود لهم مصطلح: "النظرية النقدية" وهم أساساً من اليهود وفلاسفة قبل أن يكونوا علماء اجتماع وليسوا من المنظرين عدا هابرماس الذي جاء بعدهم وحاول الخروج عن دائرتهم بطرح نظرية اجتماعية أكثر اتساقاً من ناحية المنطق الداخلي وإن لم تكن أقل تهافتاً ويفصل بين "الفعل الاجتماعي" و "البنية الاجتماعية" خلافاً لبارسونز الجامع بينهما، وحيناً إلى مشروع الحدأة المتشطي الآن، الذي تخلت عنه نظرية "ما بعد الحدأة".



هابرماس (Habermas, J) المتخصص في الفلسفة وعلم

الاجتماع،.. وغيرهم¹⁵، أو عند أصحاب:

(6) "النظرية الماركسية البنوية" (Structural Marxism): **لوي ألتوسير** (Althusser Louis)



، وإيتيين باليبار (Etienne Balibar) (1942 -) ، (1918 - 1990)



ونيكوس بولانتزاس (Poulantzas, Nicos) (1936 - 1979) ، في

النظرية الاجتماعية والفلسفية، وموريس غودولي (Maurice)



في الأنتروبولوجيا،.. وغيرهم. (Godolier) (1934 - ...)

قلت:



هذا زيادة على أن الفكر البنوي سيمتد إلى فروع معرفية أخرى اتخذت من بنائية اللغة أساس أنموذجها المعيار كما في علم اللغة البنوي الذي دشنته أعمال السويسري فرديناند



دو سوسير (Ferdinand de Saussure) (1857 - 1913) بما نقل عنه اثنان من

¹⁵ والذين يحكم يهوديتهم، لم يركزوا في نقدهم للعنصريات سوى على "الاسامية"، ولم يتعرضوا قط للعنصرية "الصهيونية" و لا لعنصرية البيض ضد السود سواء في أمريكا أو إفريقيا الجنوبية،.. الخ.

تلامذته واسترجعاه ووضعاه في كتاب بعنوان: "درس في علم اللغة العام" (Cours de Linguistique générale) ونشراه سنة 1916.

ولم يستعمل **دو سوسير** لفظ "**البنية**" وإنما "**الهيكل**" و"**النظام**".
وستأتي **المدرسة الروسية الشكلية (Formalism)** في **النقد الأدبي** التي رأت النور على شكل "**حلقة موسكو اللغوية**" التي أسسها طلبة جامعة موسكو سنة 1915 والتي سيلتحق بها رواد من شاكلة **رومان جاوبسون (Roman Ossipovich Jakobson)** (1896 – 1982)



الذي سيهاجر لاحقاً إلى أمريكا لتربطه صداقة حميمة مع أحد رواد **الأنثروبولوجية**



البنائية وهو **كلود ليفي ستراروس (Claude Lévi-Strauss)** (1908 - ...) والذي حضر الكثير من دروس **جاكوبسون** ونشر معه أول دراسة بنائية في الأدب عن سونيت "القطط" للشاعر الفرنسي بودلير.

وسيكون لهذا التيار البنائي رواد في "**النقد الأدبي**" و"**الدراسات الثقافية**" المرتبطة ب "**الكتابة**" و"**الموسيقى**" و"**الصورة**" و"**الأسطورة**" عند **رولان بارث (Roland Barth)**



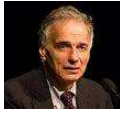
(1915 - 1980) ، وفي "**التحليل النفسي**" ، عند **جاك لاكان (Jacques Lacan)**




(1901 - 1981) ، وفي "**تاريخ الفكر**" عند **ميشيل فوكو (Michel Foucault)**



، الذي سيتأثر بمنهجه ومقاربتة الناقد والمنظر في الأدب: **الفلستيني (1926 - 1984)**

 إدوارد سعيد (Edward Wadie Saïd) (1935 - 2003) في دراسته عن

المستشرقين في كتاب: "الاستشراق" أو عند إيلان هوبر غرينهيل (-Eilean Hooper)

 (Greenhill) بخصوص "المتحف" في كتابها: "المتاحف وتشكيل المعرفة"

 (Museums and the shaping of knowledge) المنشور سنة 1992، و"النقد

 "السينمائي" عند كريستيان ميتز (Christian Metz) (1931 – 1993)،

 و"الفلسفة" عند جاك دريدا (Jacques Derrida) (1830 – 2004)،... إلخ.

وحاول بعضهم ربط **البنائية بعلم الاجتماع** كما فعل **غودارد** (Goddard, A.)،
وبادكوك (Badcock, C.)، ورونسيومان (Runciman, C.) دون نتيجة تذكر من حيث
الاستمرارية!.

 **قلت:**

وكان حظ مغربي العرب، الفاقدى الوجهة والتوجيه، من **البنائية** كتاب الذبابي غير

 مدفوع ولا منازع: **الدكتور صلاح فضل**: "نظرية البنائية في النقد الأدبي"



منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، وكوكبة من **الذبابيين** وفيارسة الثقافة



من أمثال المشاركة: **فريال غزول**، و**سيزا قاسم**، و**كمال أبو ديب**،



وزوجة أدونيس: **خالدة سعيد**، و**عبد الله محمد الغدامي**، والمصرية **اعتدال**



عثمان، والمغربيين: **عبد الكبير خطيبي** (1938 – 2009) و**عبد**



الفتاح كيليطو وغيرهم.

وقد انتقدنا بعض رموزهم في كتابنا: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس"؟



قلت:



لاحظ أن مفهوم "البنية" نفسه إشكالي، حيث نجد **كلود ليفي سترافوس** يستعمل مفهومين له في: "الأنثروبولوجية البنائية" و"الأسطورة"، وكذلك هي مختلفة عند **ميشيل فوكو** في **تاريخ الفكر** وعند **رولان بارث** في استعمالته الأدبية!!!.

ولاحظ أيضاً أن ما بعد البنيوية تشخصت في نقيضها تماماً وهو "التفكيكية"

(Deconstruction) بدل الاستمرار تحت اسم "البنيوية الجديدة" (Neo-Structuralism)

كما كان منتظراً من مقابلة "الجديد" ب "القديم" باستعمال لاحقة (Neo)، خصوصاً وأن رولان بارث وجاك دريدا سيصبحان من التفكيكيين بعد أن كانا من البنيويين!.

أو عند أصحاب:

(7) "الاختيار العقلاني الماركسي" (Rational Choice Marxism) عند: جون رويمر (John

، وألن كارلنغ (Alan Carling) ، وإريك أولن (E. Roemer)

رايت (Eric Olin Wright) (1947 - ...) ، وآلان تورين (Alain)

(Touraine) (1925 - ...) ، وغيرهم، أو عند أصحاب:

(8) النقدية السياسية الحديثة (La Nouvelle Critique Politique): كاستورياديس (Castoriadis)

، والماركسية اليهودية "حنا أرنت (Cornélius Castoriadis) (1997 - 1922)

(Hannah Arendt) (1974 - 1906) ، والماركسي: كلود لوفور

، وغيرهم، (Claude Lefort)، أو عند خليف المخرمين من شاكلة:

(9) الاجتماعيين ال "ما بعد بنيويين" (Post- Structuralism Sociology) ويمثلهم: ميشيل

فوكو (Foucault, M.) (1989 - 1926) الذي اهتم بتاريخ الأنساق الفكرية وتاريخ

العلوم وارتباطات المعرفة بالسلطة في كتبه النقدية: "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" سنة 1961، و"مولد العيادة" سنة 1963، و"الكلمات والأشياء" سنة 1966، و"حفريات المعرفة" سنة 1969، و"نظام الخطاب" سنة 1971، و"المراقبة والعقاب" سنة 1975، و"تاريخ الجنس" سنة 1976،.. وغيرها، والمتأثرين بنهجه حال الفلسطيني الأمريكي الجنسية إدوار سعيد في كتابه "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية"، وجان بودريار (J. Boudriard)،.. وغيرهما، أو عند أصحاب:

(10) "الإنسانية السياسية الحديثة" (Neo Political Anthropology): **بيير كلاستر (Pierre)**



(1934 – 1977) **مارسيل غوشي (Marcel Gauchet)** ،



(1946 – ...) ، **جورج بالاندييه (Georges Balandier)**¹⁶ (1920 –



(...) ، الذي يحلل السلطة السياسية والتركيب الاجتماعي في المجتمعات الغربية والمجتمعات التابعة لها في إفريقيا، باعتبار الأخيرة ذات تاريخ وصراعات على طريقتها الخاصة،.. وغيرهم، أو عند:

(11) **الاجتماعيين الـ "ما بعد حداثيين"** (Post-Modernist Sociology) **كما عند: بيير**



بورديو (Pierre Bourdieu) (1930 – 2002) في "نظرية المجال"

¹⁶ Georges Léon Émile Balandier

حيث يدرس الظاهرة الاجتماعية كبضاعة سوقية بقوانين ضابطة في التداول والتنافس بغية السلطة والنفوذ،



وجان فرانسوا ليوتار (Jean-François Lyotard) (1924 – 1998) ،
وغيرهما، أو عند أصحاب:

(12) النظرية التشكيلية (Structuration Theory) ، كما عند: أنطوني غيدنس (Anthony)



(Giddens. (1938 – ...) ، وسكوت لاش (Scott Lash) ،

...وغيرهما. أو عند أصحاب:

(13) علم الاجتماع الظاهراتي (Phenomenological Sociology) أمثال: ألفريد شوتز (Alfred)



(Schütz) (1899 – 1959) ، وجورج بساثاس (Psathas, G.) ، وبيتر بيرجر



(Peter Ludwig Berger) (1929 –) ، وغيرهم، وهي محاولة في توسيع

الفلسفة الظاهراتية لهوسرل إلى المجتمع، أو عند أصحاب:

(14) نظرية التفاعلية الرمزية (Symbolic Interactionism) الذين يمثلهم كل من: روبرت



عزرا بارك (Robert Ezra Park) (1864 – 1944) ، ووليم إسحاق



توماس (William Isaac Thomas.) (1863 – 1947) ، وجورج هيربرت ميد



(1863 - 1931) **George Herbert Mead** ، و **هربرت بلومر** (Herbert)



(1896 - 1986) **(Blumer)** ،... وغيرهم، المرتبطين ب **جامعة شيكاغو** التي

تعتمد الفلسفة النفعية الأمريكية وتربط الكائن ببيئته. وهي تركز على التفاعلية والتأويلية التي تتطور بها المعاني وتتغير كأداة لوصف الملاحظات. ثم، هي نظرية لدراسة الأفراد خاصة في إطار "**الفعل الاجتماعي**" ودراسة الفكر وعملياته ولا تحاول أن تكون نظرية للمجتمع.

قلت:



ويوجد تيار آخر لهذه المدرسة ويعمل من داخل **جامعة أيوا** (Iowa) ويمثلهم:

مانفريد كون (Manfred Kuhn) (1911 - 1963) وهو يحاول تحويل الأفكار التي

تتبنها المدرسة إلى متغيرات قابلة للقياس، باعتبارها نظرية في الواقع لتفسير ما

لوحظ! ويوجد ضمن النظرية تيار ثالث، يعرف بأصحاب:

(15) **نظرية الدور في التفاعلية** (Role Theory in Interactionism) ويمثلهم: **إرفنج**



غوفمان (Erving Goffman) (1922 - 1982) ، و **رالف ترنر** (Ralph Turner)

وغيرهما. أو عند أصحاب:

16) منهجية العرّاقَة (Ethnomethodology) ويمثلهم: هارون فيكتور سيكوريل



هارود غارفينكل (Harold (Aron Victor Cicourel) (1928 - ...)

Garfinkel) (1917 - ...) وغيرهما،¹⁷

فهذه كما يلاحظ القارئ، تيارات نشطة ومتنوعة، تعالج المجتمع من منطلقات وتصورات

مختلفة، وتصنف كلها إما ضمن "الحداثة"، أو "ما بعد الحداثة" مع تباين ظاهر من حيث المنطلقات الإيديولوجية والدوافع المصلحية أو المذهبية، أو السياسية، مع بعض التقعر اللغوي المفرط، أو التحذلق المضحك، أو حتى التعالم الواهم لدى بعض أبرز ممثلي هذه التيارات، كما نبهنا على ذلك، في بعض الرموز الفرنسية المتعالمة منهم خاصة، في كتابنا: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس"¹⁸.

ف "الحداثة" تظهر من خلال عيون الغربيين المنظرين إيديولوجياً لها، كنوع من

"المحاكمة التاريخية" (Procès Historique) سلكت عدة مسالك من التطور، مع تعددية في

التمظهر، والانقطاعات والانعراجات والاحترافات في المسار، وليس من خواصها التواصلية أو

التتابع في الزمن، ولا التزامنية في كل ظروفها المحلية من حيث الانتقال من أفق اعتباطي

¹⁷ انظر إيان كرايب: "النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس" ترجمة د/محمد حسين غلوم، سلسلة "عالم المعرفة"، العدد 244، لشهر ذي الحجة 1419 هـ/أبريل نيسان/1999 م، الكويت، عن الأصل الإنجليزي:

Ian Craib, 1992: "Modern Social Theory from Parsons to Habermas", second edition, Harvester.

¹⁸ أو حال متحذلقني أصنام المشاريع المعاصرين عند العرب عامة والمغربية خاصة، حال محمد عابد الجابري وعيئته في تشريح شيء وهمي اسمه: "العقل العربي" مع كل الإشكاليات المفهومية المحايثة والمصاحبة لـ "العقل" كعقل وما هو؟، ولـ "العقلية" كعقلية وبأي معنى؟، أو عند المتمركس عبد الله العروي في فدلكته التي لا تقل عبثية في تعريف المعارف مثل: مفاهيم "الإيديولوجيا"، و"الدولة" و"الحرية"، التي خصص لكل منها مؤلفاً، وهي تحديداً متلونة بسعة لون الطيف!.. أو مثال مفهوم: "الشخصانية" عند محمد عزيز الحبابي، المحايث لـ "الدافع الحيوي" (Élan Vital) عند الفيلسوف الفرنسي هنري لوي برغسون (Henri Louis Bergson) (1859 - 1941) الذي تخرج على يديه، وفكره... الخ. أنظر كتابنا: "أصنام المشاريع وثقافة الذباب: حسن حنفي، محمد أركون، عبد الكبير الخطيبي، محمد عابد الجابري، عبد الله العروي نموذجاً".

التشكيل والهوية والتحديد! أطلق عليه اسم: **"التقليدية"** إلى أفق آخر، لا يقل عن الأول
اعتباطية، وأطلق عليه اسم: **"الحدائثة"**!.



وضمن هذا السياق، فلن نعجب أن نجد **ماكس فيبر** (1864 – 1920) يخص

الجزء الأكبر من أعماله، في محاولة يائسة!، لتوضيح هذا **"المنطق"** المرتبط ب **"الحدائثة"** كما
تطور مفهومه في الغرب، ليحاول إرجاعها في النهاية، وكمصادرة على المطلوب، إلى الهيمنة
المتقدمة ل **"العقلانية الآلية"** في كل ما له تعلق ب **"الفعل الإنساني"**!.

بل سنراه يجهد نفسه لفهم البواعث الإيجابية والسلبية التي يمكنه من خلالها أن يربط
بين **الحدائثة الغربية** و**السياق التاريخي العالمي العام**، في استعارة عضوية، كنوع من
النمو، تلاه ترعرع وتوسع مطرد، أفضى لاحقاً عند ذروة نضجه، إلى **السيطرة المطلقة**
للحضارة الغربية على العالم!.

فهو إذن في عمقه وفي فصله وفصه، **منظر إيديولوجي نرجسي**، لا يخفي مركزية
موقفه ومنطلقه ولا انتماءه، سواء في فهمه، أو في وعيه، أو في منطلقه، أو في تصوره،
ضمن تجربته المعيشية كشخص غربي، كما كان منتظراً من أي أوروبي نرجسي من جيله
وجيلته ضمن إطاره المرجعي.

وهي بصمة لا تخطئ صاحبها بحال ولها استمراريتها وروادها في الماضي والآن.

فنحن هنا نلمس لمس اليد، قصوراً ذاتياً في مسمى **"علم"**، ما له من **"العلمية"**

الحقة!، سوى **الإيديولوجيا** القابعة تحته وخلفه، باعتراف أهل الاختصاص المنتجين له، وبقيم

ومفاهيم تتسم بالمحلية الفكرانية، وبالمحدودية الجغرافية، وبالشروط التاريخية المنتجة لها، كما تخصص فيها الأنموذج الإرشادي العام الغربي!.

انتهى وتليه الحلقة الخامسة.